ذلك لا يدل ، في الواقع ، الا على عدم الدقة في استيعاب معطيات الواقع الفلسطيني والعربي والدولي .

ان من عاش ايام المؤتمر الرابع العشرة يلمس بوضوح قدرة كل عضو فيه على تفهم هذا القانون والعمل من خلاله ؛ وهو الامر الذي عكس نفسه في كافة الوثائق والبرامج التي اقرها المؤتمر ، وما يستطيع ، ان يلمسه المراقب ايضاً من خلال البرنامج السياسي الصادر . فمن تاكيد وتثبيت الاهداف الاستراتيجية لحركة فتح ، التي جوهرها بناء المجتمع التقدمي في فلسطين الديمقراطية الى « اعتبار القرارات السارية للمجالس الوطنية الفلسطينية لمنظمة التحرير الفلسطينية جزءاً مكملاً للبرنامج السياسي للحركة » . ومن المسلّمة التي تنص على ان حركة فتح هي محور الثورة الفلسطينية وعمودها الفقري ، الى ضرورة النضال من اجل « التعزيز المستمر للوحدة الوطنية الفلسطينية على كافة المستويات » وبقيادة الحركة ، الى البند الذي يؤكد على ضرورة مشاركة الحركة بثقل اساسي في منظمة التحرير الفلسطينية لضمان فعاليتها . ومن النص على ان « العلاقة مع الجماهير العربية علاقة استراتيجية وذلك من خلال قواها السياسية الوطنية المنظمة » ، الى اقامة العلاقة مع الانظمة العربية « بحيث لا تتعارض مع العلاقة الاستراتيجية مع الجماهير ». ومن التشديد على قانون ان « حركة فتح جزء من حركة التحرر العالمية في النضال المشترك ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية » الى القول بضرورة « تكثيف العمل السياسي في دول اوروبا الغربية واليابان وكندا والاستفادة من تأييد القوى السياسية الديمقراطية والتقدمية في هذه الدول » .

ان خلاصة هذا التوجه الشامل هي قدرته في التعبير عن جدلية معطيات الواقع المعقد ، بحيث يصح القول ان قانون التوازن المشار اليه هو في الواقع قانون الجدل ، اي رؤية الواقع من خلال الجدل القائم بين معطياته .

ان كل التجربة الماضية اكدت انه بدون الاسترشاد بهذا القانون لا يمكن احراز اي نجاح في الساحة الفلسطينية ، بل ان العمل في هذه الساحة يصبح غير ممكن .ليست المسألة في لعبة التوازن التي تظهر على السطح من خلال تفاصيل العمل السياسي ؛ فهذه اللعبة ليست غير الانعكاس السريع لقانون جدل الفعل الذي يحكم الممارسة السياسية لحركة فتح .

٢ ـ التقدم في اطار الوحدة

في حين ان البعض يحرص اشد الحرص على نظرته المسطحة وعلى تقييمه المبسط لجوهر حركة فتح ، فينظر اليها وكانها كتلة ذات لون واحد ، فلا يرى التمايزات والتعارضات القائمة في هذا الجوهر ، يحرص بعض آخر على تفسير كل تغيير او تطور في هذا الجوهر بأنه نتيجة ترتيب معين او تسوية معينة . وكلا النظرتين تتسمان بسذاجة وقصر نظر اذا أحسنّا النية .

ان الاساس في كل ذلك هو في كيفية النظر الى حركة فتح : هل هي منظمة فلسطينية ام هي صلب الحركة الوطنية الفلسطينية .

ان من يعتبرون ان حركة فتح هي التعبير السياسي عن الاغلبية الساحقة لقطاعات الشعب الفلسطيني ، لا بد من أن يؤمنوا أيضاً ان هذه القطاعات غير محكومة بلون واحد ، وان